

حياة القديس البادري بيو

قداس الأب بيو

إن الأب بيو هو قبل كل شيء كاهن، ولذا فإن لديه ميزة خاصة لأبناء جنسه الكهنة فهم يقصدون سان جيوفاني روتندو من بعيد فيعثرون على معنى أعمق لكهنوتهم ومحبة أشمل للنفوس. وقد قال كاهن: منذ أن حضرت قداس الأب بيو لا أستطيع أن أسرع في تلاوة قداسي.

وآخر أمريكي الأصل قال: كم تأثرت لكلمته: النفوس! أه النفوس كم تكلف لتحصل على الخلاص!

إثناء الذبيحة الإلهية كان وجه الأب بيو يتصبّب عرفاً وعيناه تفيضان دموعاً وهو يفكر في حمل الخطايا الثقيل الذي ينوء به يومياً في كرسي الاعتراف ليعوض بدمه في القداس عن هذه الأخطاء.

ولم يكن فوق الهيكل سوى المسيح على الجلجلة يريه الحاضرين بحركاته.

وعند التقديم كان يرفع الصينية في دور استرحام وعيناه تغوصان في نور لا يرى وكأنه يجمع العالم بأسره على هذه الصينية والدقائق تمر ثقيلة أثقل من نقط الدم. وعند ذكر الأحياء كان توقف من جديد في انخفاف ثان يطول جداً لولا أمر الرئيس بمتابعة القداس.

كان يدعو أبناءه كي يحضروا ذبيحة القداس يومياً، ويتقدموا إلى مائدة الحياة لان القداس على حدّ قوله يخلص العالم يوماً بعد يوم من الهلاك. كما يعلم أبناءه الروحيين انه لا يمكننا الحصول على الخلاص إلا إذا كان الصليب مزروعاً في حياتنا وكان يقول: اعتقد أن الافخارستيا المقدسة هي السبيل الوحيد للتوق إلى الكمال. لكن علينا أن نستقبلها وكلنا رغبة بان نزرع من قلوبنا كل ما يسيء إلى من نريد أن يكون فينا.

لكنه كان يحذر من التناول النفاقي، وقد رفض الاعتراف لسيدة إنكليزية مدة عشرين يوماً وقال لها: كان عليك بدلاً من أن تشككي من قسوتي، إن تسألني نفسك كيف يمكن للرحمة الإلهية أن تقبلك بعد تلك المناولات النفاقية.

أعلمين كم ذلك مؤلم؟ فالذي يقترب خطيئة النفاق لا يمكنه أن يخلص بلا شفاعاة احد